المصادر حروف تنفرد لبقيت على حالها في الابتداء وذلك مثل ٥ ما انتاني زيداً صواباً ووجدت انثيجاري عمراً اضوب ٥٠ وباب الهمز أجمع من باب البدل ولكنا قد اوردنا ذلك عما ليس بهمز وعما شذ عن بابه . وفي ما بيناً دليل على ما لم نذكره

(له تابع)

طرفة

من اخبار دير الشرفة

للقس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

اننا اقراراً بما لدير الشرفة قبلنا من الأيادي البيضاء واظهاراً لما يستبطنهُ قلبنا نحوهُ من عواطف الحبّ والولاء اذ ارتشفنا من مناهله الصافية مياه الآداب المسيحية والتقطنا من حديقته النضرة زهور التعاليم الكهنوتيَّة منذ عام ١٨٩٥ الى ١٩٠٣ شئنا ان ننشر على صفحات المشرق الأغرّ طرفة من اخباره السالفة مهيئين الكلام في من أدّى له الخدم المشكورة وتهالك في سبيل نجاحه ولاسيّما الاخ رزق الله سفوك قيم ارزاقه والشماس يوسف تبّان وكيل مادياته فنقول :

١ وصف دير الشرفة وتأسيسه

الشرفة دير شهير ومعهد جليل للسريان الكاثوليك أمّهُ السيّد اغناطيوس ميخائيل جروه البطريرك الانطاكيّ عام ١٧٨٥ في كسروان بلبنان ودُعي الشرفة لإشرافهِ على قريتي درعون وحريصا تحفّ به اشجار الصنوبر والسنديان والتوت ويطلّ على مصيف قصادة سوريا الرسولية وعلى مقام سيّدة لبنان المشيد عام ١٩٠٤ وعلى دير مار يوسف الحرف لراهبات أسرة نطين وعلى مدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم التي أُنشئت سنة ١٩١٤ بمساعي السيّد فرديانو جيانيني القاصد الرسولي وعلى دير الآباء البولسيين المرسلين الملكيين الذي شاده سنة ١٩٠٣ السيّد جرمانوس معقّد الطيّب الذكر .

على ان البطريرك ميخائيل جروه المذكور في الخير بعد ارتقائه الى السدّة البطريركيّة في دير الزعفران بناردين على جميع السريان اضطرّ ان ينهزم من وجه خصومه سنة ١٧٨٢ الى الموصل وبغداد ويجوب المفاوز والفلوات مضطرّاً على الأتعاب والمشقّات فقطع تلك المسافة البعيدة بمخاوف شديدة واخطار جمّة عديدة متعلّلاً ظهر بعير الى ان افضت به العناية الالهيّة بعد ١٥ يوماً الى قرية بيت شباب بلبنان ١) في سابع اذار ١٧٨٤ فنزل في دير مار انطونيوس النبع . وما مرّ عليه ثمّ اربعة اشهر حتى اضطرّ الى ان يغادره ويسكن بيت احد الفلاحين فلحق به اذ ذاك صديقهُ الحميم السيّد ايونيس نعمة الله الصدّي وكان قد اعتنق على يده الايمان الكاثوليكيّ في دير الزعفران سنة ١٧٨٢ فاستمرّ البطريرك والمطران والشمّاسان زكريّا القطربّليّ وتوما الآمدي في ذلك البيت الحقير يستعطون القوت اليوميّ ويرقدون على الحضيض من دون حصير ٢) الى كانون الاول ١٧٨٤ ولم يستحبّ البطريرك الذهاب الى دير مار افرام الرغم في الاشبانيّة ٣) اذ كان فيه وقتئذٍ المطران يوسف قدسي لان الله سبحانهُ أعدّه لعمل آخر اجلّ وأفضل وهو تشييده ديرًا للطائفة على اسم سيّدة النجاة في الشرفة

ذلك ان البطريرك ميخائيل المغبوط غادر بيت شباب في اوّل كانون الاوّل ١٧٨٤ ويتم الشرفة فاستأجر بعد ستة ايّام المحلّ بعشرين غرشاً في السنة وكتب صكّ الايجار وشهد فيه السيّد بولس اسطفان والقس جرجس رئيس دير الكريم للارمن والقس حنا والقس بولس والشيخ نوفل الخازن وانطون الحاج موسى . ولمّا كان ١٥

١) راجع مجلة المشرق (٣ : ٩١٢ – ٩٢٦)

٢) عن رسالة البطريرك الى المجمع المقدّس بتاريخ ٢٦ ايّار ١٧٨٤

٣) شيّد دير مار افرام سنة ١٧٠٩ بمساعي السيّد اثناسيوس سفر المطران ماردين (+ ١٧٢٨) راجع هذه المجلّة ٩ : ٧٦٥) وعرفنا من رسائله السيّد غريغوريوس نعمه قدسي (+ ١٧٤٠) والسيّد ديونيسيوس بشاره (+ ١٧٥٩) والسيّد غريغوريوس جرجس فتّال (+ ١٧٢٧) والسيّد غريغوريوس يوسف قدسي (+ ١٧٩٧) والخوري الياس ابرخان (سنة ١٧٢٨) وظلّ الدير مأهولاً بالرهبان حتى سنة ١٨٦١ فشدّ عليه الدروز وخيبوه واهانوا السيّد كوارتوس يوسف حانك ونبشوا مدافن الاساقفة والكهنة واحرقوا رفاتهم وذرّوا الرماد في الحقل وفتكوا بالراهب مبارك قوليه والاخ عبدالله والقوما على صخور الوادي فانفلقت هامتها وقضيا من ساعتها

ايلول ١٧٨٦ عوّل البطريرك السعيد الذكر على شراء المحلّ مع ارزاقه وكان ذلك المحلّ عبارة عن بناء صغير وحرج وتوت وكرم وارض زرع (سليخ) فابتاعه من الشيخ ابي فارس انطون الحاج موسى الشنيمي بمبلغ ٢٦٣٢ غرشاً واستحضر في ١٦ ايّار ١٧٨٧ المعلّم حنا الدرزي والمعلّم سمعان شهوان وسمد ثابت العجلتوني والشدياق اسطفان فليفل الدرعوني فخمّنوا عليه المبلغ المذكور وأيّد البيع والشراء الامير يوسف الشهابي بشهادة السيّد يوسف تيّان مطران دمشق والاب يوحنا رئيس الرهبان الارمن العام والقس جرجس الارمني والقس سمعان صبّاغ السريانيّ والشيخ غندور سمد الخوري والشيخ نوفل الخازن وانطون جباره . ثمّ عرض البطريرك ميخائيل حجّة البيع والشراء على مقام البطريركيّة المارونيّة فأيّدها السيّد يوسف بطرس اسطفان البطريرك الانطاكيّ والمطران يوسف نجيم والمطران يوحنا الحاج وجمهور راهبات دير الحصن . وبحضورهم عدّا الخوري صالح بن حصن الخازن عن حقوق الشفعة

ولمّا تمّ ذلك كلّه طبقاً لنيّة البطريرك المغبوط دعا المحلّ باسم سيّدة النجاة اقراراً بفضلها لانها صحبتهُ في الحلّ والترحال وأنقذتهُ من الشدائد والأهوال وبلّغته الى هذا المقام . وما زالت ايقونتها الكريمة التي كان يحملها اينما اتّجه محفوظة حتى اليوم في ديره بالتجلّة والاكرام . ثم وقف الدير وأرزاقهُ وجميع امواله المنقولة وغير المنقولة لله تعالى وحتّم ان يكون مقاماً لمن يخلفه من البطاركة على الطائفة السريانيّة الكاثوليكية وحرّج عليهم ان يبيعوا او يرهنوا او يهبوا شيئاً مما مخصّهُ . واستلم في ١٥ ايلول ١٧٨٦ من الشيخ ابي فارس جميع الحجج القديمة كحجّة امّ حصن الموجهة الى الخوري يوسف مارون الدويهيّ والحجج التي كانت عند السيّد يوسف بطريرك الموارنة . وبعد ذلك كلّه كتب الى الحبر الاعظم مار بيوس السادس والى المجمع المقدس يخبرهما بالأمر ويتوسّل الى الحبر الروماني ان يؤيّد عملهُ فكتب اليه صك التأييد واليك نصّه معرّباً :

البابا بيوس السادس للذكر المخلّد

ان اخوتنا الموقّرين كرادلة الكنيسة الرومانيّة المقدّسة المفوّض اليهم امر افتتاح الايمان المقدّس عرضوا علينا بواسطة ولدنا الحبيب المونسنيور اسطفان بورجيا كاتم الأسرار ان الاخ الجليل اغناطيوس ميخائيل جروه بطريرك السريان الانطاكي قد اشترى وامتلك في درعون بجبل

لبنان ديرًا سمّاه دير سيدة النجاة واستحدث فيه أبنيةً وطلب ان يكون هو وجميع ملحقاته وقفًا دائمًا ثابتًا له ولخلفائه البطاركة . والتمس من المجمع ان ينوب منابه في التوسّل الينا لتوكيد ارادتهُ بسلطاننا . امّا نحن فعلاوةً على مزيد اعتبارنا إيّاه لاقاه هذا البطريرك من الاضطهاد والشدائد في سبيل الايمان الكاثوليكيّ قد ازداد حبًّا له لسبب كرمهِ وفضله هذا التقويّ وقبلنا توسّلهُ بيشاشة وترحاب واذنا واثقون كلّ الثقة ان ذلك يحمله على اعتبار كثرة تعطف الكرميّ الرسوليّ عليه والتفاتهِ اليه . ومن ثمّ فنحكم بقوّة اسطرنا وبراءتنا هذه ونريد ونأمر بسلطاننا الرسوليّ ان يكون دير سيّدة النجاة المذكور مع جميع ما يملكه من الارزاق الآن وفي مستقبل الزمان وقفًا ثابتًا مؤبّدًا حسب نيّة البطريرك اغناطيوس ميخائيل وان يكون ذلك تحت تصرّفهِ وتصرّف البطاركة خلفائه . ونضيف الى ذلك اننا قد قبلناه وتقبله تحت حماية كرسيّنا الرسوليّ ومجمع انتشار الايمان . ونتعي بسلطاننا الرسولي كائنًا من كان عن التعدي عليه او التلاعب باملاكه او الاختصاص بشيءٍ منهُ لذاتهِ ونمنع المنع المطلق عن بيع او هبة شيءٍ منه ومن خالف أمرنا هذا سقط حالًا في الحرم المحفوظ حلّهُ لنا ولمن يخلفنا اذا كان المتعدي في قيد الحياة

أُعطي في رومية جانب مار بطرس تحت ختم الصيّاد ٢٢ ايّار ١٧٨٧ وهي السنة الثالثة عشرة لحبريتنا + انكردينال ولدس برسكي دي ارنسي

ولمّا تلقّى البطريرك منشور الآب الاقدس ازداد فرحًا وسرورًا ونذي شيئًا من وزاياه فكتب الى الحبر الروماني في ٨ اذار ١٧٨٨ يشكر له تلطّفه وعطفه ويقول: « ان دير سيّدة النجاة يخصّ البطريرك الانطاكيّ السرياني الكاثوليكي دون غيره على شرط ان لا يبيع ولا يرهن ولا يهب شيئًا من ارزاقهِ بتّة . امّا كهنة الدير وناذرو الفقر والطاعة لنا ولخلفائنا فلهم حقّ المعيشة والكسوة على البطريرك شرعًا وذمّة لان كلًّا منهم هو كجزء من جسد جمعيته »

٢ افتتاح دير الشرفة

ومنذ إذٍ طفق البطريرك يراسل بلاد السريان كحلب وماردين والموصل وبغداد ودمشق والنبك في استحضار شبّانٍ ليدرسوا عليه العلوم الكهنوتيّة . وفي ٢٤ اذار ١٧٨٨ الشمّاس زكريا ابن الخوري اسحق الامدي الى الدرجة الكهنوتيّة . وسمّاه يوسف ثم مطرانهُ على ديار بكر في ٢١ تشرين الثاني ١٧٩٠ ودعاه يوليوس

انطون وجعله وكيلاً اي رئيساً على الدير واجتمع اليه منذ ذاك عدد من الطلبة ارتقى اغلبهم الى الدرجة الكهنوتية(١

وفي هذا الدير عينه تخرّج البطريرك اغناطيوس ميخائيل ضاهر الحلبي († ٢٢ كانون الثاني ١٨٢٢) والبطريرك اغناطيوس بطرس جروه(† ١٦ تشرين الأول ١٨٥١) والسادة كورتس انطون الديار بكري († ١٦ كانون الثاني ١٨٤١) واثناسيوس جبرائيل حمصي († تشرين الثاني ١٨٥٣) وكورتس يوسف حانك († ٢٨ شباط ١٨٦٣) وباسيليوس ميخائيل هدايا († ٥ كانون الثاني ١٨٢٧)

وبعد وفاة البطريرك ميخائيل مؤسس الدير المذكور في الخير تولّى رئاسته السيد انطون الآمدي وكان يساعده في القاء الدروس على التلامذة القس بطرس جروه . وهما اللذان اوفدا القس توما الماردينى الى حلب وما بين النهرين والعراق ليجمع الصدقات من المؤمنين لتشييد غُرَف لسكنى التلامذة . وقرأنا في رسالة اوفدها السيد انطون الى القس المذكور في ٤ تموز ١٨١٢ يقول:

« اما بشأن العمارة نحن اليوم مشغولون ببناء الغرف وان شاء الله ينتهي في الشتاء ولا نقدر ان نكثّر المسلة لضيق ذات يدنا »

وكتب ايضاً الى القس يوسف جبي بمصر في ٢ نيسان ١٨١٢ :

« انا ابتدأنا نشيّد الغرف فوق القبو لانه لا يوجد محل لسكنى التلامذة وقد التمسنا ان نبني على شدّة حاجتنا وضيقتنا »

---

١) وهذه اسماؤهم : الخوارنة انطون قدسي الحلبي وشكرالله قوليه وروفائيل طنبرجي وشكرالله براغيث وروفائيل موسى وجبرائيل سريدار وميخائيل صانع ثمّ القسوس توما الماردينى ويوحنا عاقل ويوسف جبي والياس شدياق ويوسف سكّر وجرجس جروه وميخائيل توما التبكي وبولس توما الموصلي وميخائيل جروه ويوسف طبّاخ وانطون يازجي وعبدالله حمصي ويوسف سوكي واندراوس يشوع وافرام مداراتي ويوحنا اسلامبولية وفيلبس قزازه ويحنا هزاز وتوما صباغ ولوقا حسن . فهؤلاء الكهنة اجمع تربّوا في دير الشرفة وفيه تلقّوا العلوم الكهنوتية منذ نشأته الى سنة ١٨٣٠ . ومن جملة تلامذة الشرفة الاوّلين ميخائيل دقّاق شلحت وفتح الله الطوبجي والياس يوسف شقال وانطون عرقجنجي ومينا مبارك شاه ويوسف قطلي وانطون عبد المعطي حمصي وميخائيل عركوس وذكريا سليمان الموصلي وجبرائيل اسلامبولية ومتى توما الموصلي ويوسف حنا سوكي وجرجس شموني وعبدالله كويفاتي ويعقوب حانك وعمه ابن القس جرجس شدياق وبطرس زلّوعاس وجرجس ومتري وَلَدَي ميخائيل ذيحا وموسى بن عمه شيحا ومبارك بن يوسف رباط الخ

وخلف السيد انطون في رئاسة الدير السيد غريغوريوس بطرس جروه في ١٥ كانون الاوّل ١٨١٤ فأنجز البناء ورمّم دير مار افرام الرغم وشاد فيه طابقاً ثانياً وتولّى بعده أمر دير الشرفة سنة ١٨٢٥ المطران جبرائيل حمصي ولكنه لم يكترث لأمور التلامذة فانهزم اغلبهم وظلّت الامور مبلبلة حتى عاد البطريرك بطرس جروه واستلم الرئاسة على الدير سنة ١٨٢٨ واقام بعد ذلك الخوري جرجس صعب الحلبي رئيساً وتوجّه هو الى حلب

٣ المحسنون الى دير الشرفة

ولا بدّ لنا من ان نورد ههنا اسماء بعض الذين أسعفوا دير الشرفة تخليداً لذكرهم مستمطرين غيث الرحمة الالهية على نفوسهم فنذكر اوّلاً بعد البطريرك ميخائيل والبطريرك بطرس ابن اخيه والشماس حنا شقيقه جلالة كرلس الرابع ملك اسبانيا وقرينته الفاضلة مادي لويز الكريّة والكونتسا ويلا دي هوموزا وغيرهم من الاسبانيين النبلاء الاسخياء الذين تبرّعوا على الدير باموال طائلة وأمتعة كنسية قدّموها عن يد القس الياس دبّ الحلبي وكيل البطريرك ميخائيل في مدريد . ونضيف الى عدد هؤلاء الكرام السيد ايرنيس نعمة الله الصدّي (٢١ ايار ١٨٢١) والبطريرك اغناطيوس سمعان زوره (٢١ آب ١٨٣٩) والخوري الياس ايرخان والخوري روفائيل طنبرجي والخوري شكرالله براغيث والقس يوسف جبّ وجرجس اجقم واسطفان شدياق والحاجّة مريم قرينة فرج الله مبارکشاه وجبرائيل اسطنبولیه وانطون الياس صرافيا

وقد اقتفى هؤلاء الافاضل الخوري ميخائيل ازرق والخوري يوحنا طوّاف والخوري بولس راضيه والقس فيلبّس قزازه وسيّدة ابنة يوسف حلّاق الدمشقية . ونهج منهاجهم السيّد غريغوريوس متى نقّار (٢٨ اذار ١٨٦٨) والبطريرك اغناطيوس جرجس شلحت (٨ كانون الاول ١٨٩١) والسيّد اوسطاثيوس موسى سركيس (٢٠ آب ١٩١٨) والخوري انطون قرواني الذي نُصّب وكيلاً لارزاق الدير منذ عام ١٨٨٨ وتبرّع عليه بشيء من املاكه . وزد عليه أسرة الكونت نصرالله دي طرّازي ولاسيّما الفيكونت فيليب الذي اعتنى بنظم سجلّات الدير

وصنف كتاباً في اخباره سمّاه « التحفة في اخبار دير الشرفة »

٤ تحويل الدير الى مدرسة كهنوتية

صرف بطاركة السريان ورؤساء الشرفة العناية الى تدريس التلامذة وتلقينهم العلوم والفضائل الراهنة مدّة خمسة وخمسين عاماً وأتت أتعابهم بيانع الثمار وقد اوردنا آنفاً اسماء الكهنة الذين خرجوا من هذا المهد المبارك وخدموا النفوس في البلاد الشتى . ولمّا كانت سنة ١٨٤٢ رأى البطريرك اغناطيوس بطرس جروه ان يحوّل الدير الى مدرسة كهنوتية ينظر البطريرك في شؤونها وينتدب لها رؤساء يصرفون المساعي في نجاح تلامذتها . فكتب الى البابا غريغوريوس السادس عشر الحبر الروماني يكاشفه بما في نيّته فاستحسن الحبر الاعظم رأيه وكتب منشوراً بتاريخ ١٠ ايلول ١٨٤٢ يؤيد طلبه وسمّى الخوري جرجس صعب تلميذ البروبغندا رئيساً للمدرسة . وأقيم الخوري ميخائيل ازرق الحلبي مساعداً للرئيس وراعياً للتلاميذ . وفي سلخ آب ١٨٤٥ رقّي الخوري جرجس الى اسقفية طرابلس وسمّي اقليميس بولس وظلّ يسوس المدرسة ويديرها بالحزم والغيرة الى ان اسلم الروح في ميروبا في ١٧ آب ١٨٤٩ وهو الذي استقدم الى المدرسة في ١٠ نيسان ١٨٤٩ الاب يونيفاثيوس سورانيا اليسوعي ليساعده في تدريب الطلبة على الفضيلة وتثقيفهم في العلوم الدينيّة والمعارف الكهنوتيّة وشاد الغرف في شرقي المدرسة وأنجزها بعده الخوري ميخائيل ازرق سنة ١٨٥٠ وهو الذي خلفه في الرئاسة الى سنة ١٨٧٩ اعني مدّة ثلاثين سنة ولم يدّخر وسعاً اثناء ذلك في توسيع نطاق ارزاقها وتحسين املاكها وتنظيم قوانينها واصلاح شؤونها وزاد على ذلك كلّه انه وقف عليها جميع ما ملكته يده وقد عرف البطاركة ولاسيما البطريرك فيلبس عركوس لهذا الرئيس النبيل فضله وتعبه وقدروا له غيرته وكدّه وعوّلوا غير مرّة ان يرقّوه الى الدرجة الاسقفيّة كسالفه فأبى كل الاباء واخيراً انعموا عليه بلبس التاج والخاتم والصليب مكافأة لأعماله الصالحة ورقد بالرب في ١٣ تشرين الثاني ١٨٨٦

وخلف الخوري ميخائيل ازرق الخوري يوسف معمارباشي الماردينيّ في ٢٤ حزيران ١٨٧٩ وفي ٨ نيسان ١٨٨٠ أوعز اليه البطريرك جرجس شلحت ان يتوجّه الى رومة

واسبانيا واميركا ليجمع الحسنات في سبيل تشييد دير مار افرام بماردين وانجاز بناء كنيسة الشرفة الحديثة (١ ففوّض الخوري يوسف تدبير التلاميذ الى الخوري افرام ابيض الحلبي الراهب الافرامي حتى ٢٨ ايلول ١٨٨٢ فعاد واستلم ازمّة رئاستها الى ١٥ نيسان ١٨٨٣ ثم سافر الى ماردين وناب منابهُ القس موسى سركيس الدمشقي الى عاشر تشرين الثاني ١٨٨٣ فكرّ راجعاً الى المدرسة وظلّ يدبرها الى ٢٣ آب ١٨٨٤ فاوفده البطريرك الى النبك وجعل مكانه سنة ١٨٨٥ الخوري باسيل قندلفت الحلبي فثلج الخوري يوسف وعاد الى وطنه وتوفي فيه ليلة عيد الصعود سنة ١٨٨٩

وبعد الخوري باسيل تولّى شؤون المدرسة الخوري بطرس بزعيك الماردينيّ منذ ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٦ الى ٦ تشرين الاوّل ١٨٨٧ وخلفه الخوري باسيل قندلفت ثانيةً حتى سنة ١٨٨٨ فولي مكانه الخوري موسى سركيس حينما انعقد المجمع الملّي المعروف بمجمع الشرفة وكان افتتاحه في ٢٢ تموز واختتامه في ١٣ تشرين الاوّل ١٨٨٨ وترأسه السيّد لودوفيكو بياتي نيابةً عن الحبر الروماني وكان السيّد غودنسيو بنفيلي والخوري بولس عوّاد بمثابة لاهوتيّين (٢ وغدا هذا المجمع الشهير دستوراً للطائفة ولكنّه لم ينشر بالطبع بعدُ الّا باللغة اللاتينيّة فقط . وزاول الخوري موسى تدبير المدرسة الى ٢٧ كانون الاوّل ١٨٩٣ وهو الذي ابتنى ردهة الاستقبال والمنام

وتولّى الرئاسة بعده السيّد يوليوس باسيل قندلفت بعد ما رقاه شقيقه السيّد ثيوفيلس انطون الى مطرانيّة يافا بتفويض من لدن السيّد البطريرك اغناطيوس بهنام بنّي في ٢٤ كانون الاوّل ١٨٩٣ ونصبه البطريرك رئيساً للمدرسة بعد الرسامة بايّام ثلاثة

وخلفه الخوري بولس هبرا الدمشقيّ في ١٥ شباط ١٨٩٥ وظلّ يسهر على صوالح المدرسة. ويبذل الساعي في تدبير امورها وتحسين شؤونها المادّيّة والعلميّة حتّى ٢٦

١) وضع الحجر الاوّل لكنيسة الشرفة في ١٦ آب ١٨٧٦ وعقد سقفها سنة ١٨٧٧ وانجز بناؤها في ١٤ آب ١٨٨٢

٢) كان آباء المجمع غبطة البطريرك جرجس شلحت والسادة قرلس بهنام بنّي مطران الموصل واثناسيوس روفائيل جرجي مطران بغداد واقليميس يوسف داود مطران دمشق ويعقوب متى اسحر دلته اسقف نصيبين والجزيرة وثيوفيلس انطون قندلفت اسقف طرابلس وربولا افرام رحماني اسقف الرها وماروثا بطرس طوبال اسقف ديار بكر

كانون الثاني ١٩٠٢ فنُصب مطراناً لابرشيَّة الموصل وتولَّى نيابة الرئاسة من بعده القس موسى دلَّال الدمشقيّ الى ايلول ١٩٠٣ فخلفه الخوري موسى سركيس وتابر يخدم المدرسة بكلّ جد واجتهاد حتى ٢٤ تشرين الثاني فسُقف على الرستن باسم اوسطاثيوس موسى وجُعل نائباً بطريركيًّا على حمص وحماة وتوابعهما. ورُقّي منه الى مطرانيَّة بغداد سالفة في رئاسة المدرسة القسّ موسى دلَّال ودُعي السيّد اثناسيوس جرجس وهو الذي وجه عنايته خاصَّةً الى ابتناء الطابق الثالث على طرز حديث

وفوضت رئاسة مدرسة الشرفة بعد ذلك الى حضرة الخورفسقفوس افرام حيقاري في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٢ وهو الرئيس الحالي

ومذ سنة ١٨٤٢ الى يومنا تخرّج في هذه المدرسة البطريرك اغناطيوس فيلبس عركوس (✠ ٧ اذار ١٨٧٤) والسادة فلبيانس بطرس متاح (✠ ١٦ حزيران ١٨٧٤) ومارونا بطرس طوبال (✠ ١٩١٥) واثناسيوس رافائيل برخي (✠ ٢٩ نيسان ١٨٩٠) ويعقوب متى احمر دقته (✠ ١ نيسان ١٩٠٨) وثيوفيلس انطون قندلفت (٥ آب ١٨٩٨) وقرلس بولس دانيال (✠ ١٢ تشرين الثاني ١٩١٦) وغريغوريوس برجس شاهين (تقطن في ١٩ ايار ١٨٧٢) واثناسيوس اغناطيوس نوري (١٦ حزيران ١٨٩٥) وفلبيانس ميخائيل ملكي مطران الجزيرة الذي قتل شهيداً في ٢٧ آب ١٩١٥ (القصارى في نكبات النصارى ص ٣٨٤)

وفي هذه المدرسة درس زمناً وجيزًا السيّد اقليميس يوحنا معمار باشي تلميذ اليسوعيين بغزير (✠ ٢١ ايار ١٩١٤) والسيّد اقليميس ميخائيل نجاش تلميذ بروبغندا والسيّد اوسطاثيوس موسى سركيس تلميذ اليسوعيين بغزير والسيّد غريغوريوس هبرا والسيّد اثناسيوس جرجس دلَّال تلميذا البروبغندا . وندمج في سلك هؤلاء اسماء بعض كهنة الشرفة الذين تُتلوا في سبيل الايمان المقدَّس كالخورفسقفوس رافائيل بردعاني تلميذ البروبغندا ثمّ غزير والقسوس يوحنا بنابيلي ومتى ملاش وتوما مرجان وملكي شمعون وبنيام خزيمه والراهب افرام الرهاوي . ومنهم من برح بهم اعداء الدين واثخنوا فيهم ولكن الله تعالى انقذهم من الموت الاحمر كالقس متى خزيو الماردين والقس يوسف ربّاني الوصلي [القصارى في نكبات النصارى ص ٢٠٧—٢٢٥]

٥ الاخوة الافريميون في الشرفة

ما اكتفت الشرفة بتثقيف اساقفة وكهنة لرعاية النفوس وخدمتها بل فتحت احضانها لقبول زمرة من الشبّان المتضوين الى اخوية مار افرام ولاسيما بعد حريق دير الرغم وخرابه كما قدّمنا . على ان آباءنا البطاركة احتراماً لغاية البطريرك ميخائيل المطوّب الذكر راموا ان يجدّدوا تلك الاخوية في دير الشرفة. فأضحت الشرفة والحالة هذه ديراً ومدرسة معاً . واوّل من جدّد الاخويّة في الشرفة كان البطريرك اغناطيوس جرجس شلحت في غرّة تشرين الاوّل ١٨٧٦ . وكان اوّل من نذر النقر والعفّة والطاعة الخوري افرام ابيض الحلبي واقتفى آثاره السيد اقليميس ميخائيل نخّاش والسيد غريغوريوس بطرس هبرا وجملة من الكهنة(١ وأضاف البطريرك المغبوط الى ذلك انه انشأ في ماردين سنة ١٨٨٤ ديراً جليلاً جعلهُ المركز الاوّل لهذه الاخويّة وقد نشرنا على صفحات المشرق [١٢ : ٧٦٠] تاريخ ذلك الدير سنة ١٩٠٩ وخرج منه كهنة غُيُر خدموا الطائفة في بلاد ما بين النهرين وسوريا وقُتل منهم نفر سنة ١٩١٥ الدموية في سبيل الديانة المسيحيّة كالقس بطرس حمّال في مذيات وبولس قسطن في الجزيرة وافرام القصوراني في سعرت وابرهيم كرّوم في ديركه وملكي شمعون في باته ويوسف معمار باشي في ماردين وبولس هيمو في قلّث (٢

امّا الاخوة الافريميون الذين خدموا الشرفة بأتعابهم وأعراقهم وأولوها الفوائد الروحيّة والزمنية بمثالهم ومشيّاتهم ووقفوا نفوسهم على خدمة سيّدة النجاة امّهم فنذكر في مقدّمتهم المقدسي ميخائيل قنّاف الحلبيّ الذي يمم هذا المعهد المقدّس عام ١٨٤٢ ودفع الى رئيسه الخوري جرجس صعب عشرة آلاف غرش فاشترى بها الخوري ميخائيل ازرق سالفهُ ناعورة في جونيه وقطعتي ارض مغروستين توتاً في ظهر حريصا وقطعة ارض اخرى في ميروبا . وبعد اثنتي عشرة سنة اودى ميخائيل وصيّته الاخيرة

---

١) منهم المحوارنة يوسف شلحت رحنا حمصي وميخائيل دلّال الحلبيّ والقس بولس سباط الحلبي وبطرس صليو الماردين وبولس صعب الحلبيّ وبطرس ابن الشماس عازر وحنّا زلّو وبطرس عبد الاحد وافرام حنوش والياس مصري

٢) راجع كتاب القصاري في تكبات النصارى تر تراجم هؤلاء الكهنة وتفاصيل استشهادهم

المتبرّع ونفس والديه . وسنة ١٩١٥ وهب الاخ رزق‌الله الدير عشرة آلاف غرش وتفرّغ منذ ذاك للتأهب الى الرحيل الى دار البقاء

وامتاز هذا الاخ المنير بجميد الخصال وطيب الخلال ولاسيما رسوخهُ في الايمان القويم واجلالهُ للاسرار الرهبية واحترامهُ للطقوس البيعيّة واعتبارهُ لعادات الكنيسة المقدسة واستحصل لهُ الخوري ميخائيل ازرق الإنعام من المجمع المقدّس بان ينظم ذخيرة عود الصليب الكريم وذخائر اولياء الله القديسين ويعرضها للاكرام والبركة

وكان يدمن الصلوات اينما حلّ ويتار فروضهُ في وقتها لا يعجّلها ولا يؤجّلها . وكان يجتمع بالعمّلة الذين يستخدمهم كل يوم قبل الغروب وخصوصاً في شهر ايار المبارك فيقرأ عليهم التأمل ويتار معهم السبحة الورديّة ويباركهم بصورة العذراء وكان يدفع لهم الاجرة تماماً بل كان يسلف المحتاجين منهم بعض الدراهم وكان ينفر متن يكذب او يموّه عليهِ الحقيقة ولم يعوّد لسانهُ في جميع معاطساته الّا الصدق والصراحة مما يقرّ لهُ بذلك كلّ من عاشرهُ

امّا حبّهُ للقريب فكان جزيلاً جدّاً فانهُ لمّا كان يرى فقيراً عضّهُ الدهر بنابهِ كان يبذل لهُ المساعدة عن نفس طيبة ومحبّة خالصة . وورد عنهُ انهُ حرّض الفتاة اليصابات بنت انطون الحاج في مزرعة كفردبيان لتنضمّ الى زمرة راهبات قلبي يسوع ومريم واتّفق مع الاخ باسيل ناعم ١) وفيقهِ في خدمة الارزاق ودفع لها كلّ منهما مبلغاً تجهّزت بهِ الفتاة المذكورة ودخلت الدير . وكان اذا شاهد احداً في دقماء الفاقة أغاثهُ قدر طاقتهِ ونفّس عنهُ كربتهُ ونصح لهُ ان يصطبر على آفات الدهر ومشقاتهِ ريثما يأتيهِ الفرج من لدنهِ تعالى . وكان رحمهُ الله يقرض الفقير البائس او يستغني عن شيء من أكلهِ ليجود بهِ على الجائع . وقد لاحت فيهِ هذه المزيّة خاصّة اثناء الحرب الشعواء فانهُ تلطّف بالمحتاجين وشفقهم بغيةَ ان يسوق لهم الرزق ويزيل عنهم الضنك وكان يتعهّد المرضى منهم حاملاً ما يفتقرون اليهِ

هذا ما عدا انهُ كان قدوة الفضيلة ومرآة الكمال لتلامذة المدرسة فكان يعزّهم ويودّهم جدّاً ويثار على تقدّمهم ونجاحهم وينفق عليهم شيئاً من جيبهِ ليحثّهم

١) هو باسيل بن الياس ناعم الحلبي دخل دير الشرفة في ٩ نيسان ١٨٩١ ونذر نذور الرهبنة في ٣ تشرين الاول ١٨٩٢ وهو وكيل ارزاق الدير في بوسنا

في مواصلة دروسهم ويحبب اليهم الدعوة الكهنوتية . ولمّا شعر بان أهلهُ في حلب متحفزون لرفع الدعاوي في المحاكم للحصول على ما كسبهُ بعرق جبينهِ استأذن الرؤساء وسافر الى وطنهِ واشترى دارين جعلهما دارًا واحدة جدّدها وحبسها لاولاد باسيل ابن اخيه ويوسف حفيدهِ ولاولادهما وسجّل الوقف في محكمة حلب بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٢٧ — ١٩٠٩ . وجاء في نصّ الوقف ان الورثة اذا انقرضوا باجمعهم تغدو تلك الدار وقفاً للفقراء القاطنين في دير الشرفة وتكون التولية عليها للبطريرك

هذا قليل من كثير من مبرّات هذا العامل النشيط ومزاياهُ وخدمهِ وما برح الاخ رزق‌الله مثابرًا على الاعمال الصالحة حتى سنة ١٩١٨ فأحسّ بقرب اقبال الآخرة اليهِ وجعل يُعدّ نفسه للرحيل والمثول بين يدي خالقهِ وفاديهِ المكافئ عبيدهُ الامناء بأفضل الاجر والجزاء . وفي ١٥ ايلول لزم الفراش اسبوعاً كاملًا صابرًا على مضض الوجع وفي ٢٣ ايلول طلب سرّ المسحة وأقرّ بخطاياه وتناول الزاد الاخير . وكان اثناء ذلك يعتر قلبهُ بذكر الله تعالى ويكثر من تلاوة هذه العبارة « لمجدك يا يسوع » وظلّ على تلك الحال الى صباح ٢٥ ايلول ١٩١٨ فلفظ روحهُ مستودعاً نفسهُ ليسوع ومريم ومار يوسف . وأُقيم لهُ مأتم حافل في الشرفة حضره جملة من الخورنة والكهنة والرهبان والاهالي وأبّنهُ حضرة الخوري بولس فضول المرسل الكريمي . فهكذا قضى الاخ رزق‌الله حياتهُ في سبيل الله وعاش عيشة الابرار والزهّاد ورقد بشيخوخة مباركة في السنّ السابعة والثمانين من عمرهِ صرف منها ثلاثاً وخمسين في خدمة دير سيّدة النجاة ومضى ليُنال الأجر والمكافأة المعدّة للأكرة الصالحين والعملة الناجحين المفلحين

٧ الشمّاس يوسف نبّاه الحلبي

وُلد الشماس يوسف بن انطون بن ميخائيل بن جرجس تنّان في حلب سنة ١٨٤٢ . ولمّا بلغ السنة الرابعة والثلاثين من عمره وافى دير الشرفة وتفيّأ بظلّ سيدة النجاة الوارف وقصد الانخراط في سلك الاخوية الافرعيّة فنذر النذور الثلاثة في ١٤ كانون الثاني ١٨٧٧ ووشحهُ البطريرك جرجس بالثوب الرهباني ثم رسمهُ مرتّلًا وقارئاً مع رفيقهِ الاخ رزق‌الله السابق الذكر وارتقى معهُ ايضاً الى الدرجة الهفوذياقونيّة

ومذ ذاك وقف الشماس يوسف حياتهُ على عبادة الله تعالى وخدمة العذراء. وعهد اليه الرؤساء الوكالة على مأذنيات الدير كإعداد الطعام وتهيئة الكسوة وعيادة المرضى وقبول الزائرين فكان مثالهُ مثل سيدهِ يوسف بن يعقوب اذ صار وكيلاً على بيت فرعون ووزّع المؤن والذخائر على المعوزين اثناء المجاعة [تك ٤١]

وفي ٢٤ تشرين الاوّل ١٨٨٦ رقّاه السيد ثئوفيلس انطون قندلفت الى الدرجة الدياقونية باذن السيد البطريرك وعوّل السيد يوليوس باسيل قندلفت ان يرقيهُ الى الدرجة الكهنوتيّة فكتب في ذلك الى غبطة البطريرك بهنام بني في ٣ شباط ١٨٩٤ فورده الجواب بالايجاب في ١١ حزيران ١٨٩٣ نظراً لكفاءة الشماس وجدارته ومجازاة لتعبهِ وخدمتهِ . بيد انهُ رحمهُ الله أبى الّا البقاء على حالته اسوةً بابينا الجليل مسار افرام شماس كنيسة الرها متخذا ذلك وسيلة لزيادة أجرهِ وثوابهِ متخوّفاً من حمل عبء الكهنوت الباهظ فاضطرّ الرئيس ان يجيب الى طلبهِ مقرّظا تقواهُ مثنيا على فضيلته وظلّ الشماس مثابراً على عملهِ مجدّ لا يعرف الكلل . ولمّا اجتمع الاباء في الشرفة وعقدوا المجمع الملي سنة ١٨٨٨ اصطفوه ساعيا يبلّغ الأوامر ويوصل الاخبار الى اصحابها فقام الشماس بتلك المهمّة خير القيام

واتصف الشماس يوسف بالخصال الحسنة ولاسيّما الطاعة التامّة للرؤساء فكان لا يقدم ولا يُحجم الّا باذنهم ومشورتهم وامتاز بالنصح والصدق في خدمتهِ وكنت تراهُ على كثرة شغلهِ طلق المحيّا باشّاً لكلّ من يقصدهُ في مسئلة من المسائل . وكان يدمن التقرّب من الاسرار الالهيّة ويطالع في وقت الفراغ الاسفار المقدّسة والكتب الروحيّة ويتار صلواته الخصوصيّة في أوقاتها وكان مغرما بحبّ القربان الاقدس فكان يقضي الساعات الطوال امامهُ ويناجيهِ مناجاة الصديق لصديقهِ ويكشف لهُ سرائر قلبهِ

امّا عبادتهُ لسيّدة النجاة صاحبة المقام فكانت عجيبة فانهُ في شتاء سنة ١٩١٣ لمّا امتحنهُ الله بعقلة في لسانهِ قصد تلك الامّ الرؤوم الشفوق واستعان بها وصلّى تساعيّتها المعروفة بتساعية پيانى وما كاد يأتي عليها كلّها الّا وانطلق لسانهُ فترنّم بمديح امّ الرحمة ونشر محاسنها واذاعها بين الناس وقصّ على سكان الدير فضلها ومنّها عليهِ بالشفاء . وكان كافا بحبّ ورديتها وثوبها ولذلك فقد اشترك في جميع اخرياتها وحثّ الناس على التعبّد لها

وخصّ الشمّاس يوسف بالذكاء والنباهة فاجتذب اليه قلوب المجاورين للدير فصاروا يختلفون اليه ذات المرار ويستشيرونه في امورهم فكان يريهم الطريق السويّ ويبلّغهم غايتهم وما برحوا حتّى اليوم يلهجون بفضله ويثنون على حبه لهم وتفانيه في صلاحهم . وكان الشمّاس يزاول كتب الطبّ فاستحصل منها شيئاً وطفق يشتري بعض الادوية والمراهم ويتبرّع بها على من يقصده من المرضى والسقام دون عوض قاصداً في ذلك وجه الله الكريم . وناهيك انه كان للتلامذة بمثابة امّ شفوق تحنّ الى اولادها وتفيشهم في ضنكهم وبؤسهم وتسرّي عنهم جميع همومهم وكان اذا دعاك احدهم تعهّده من فوره ووصف له دواء ملائماً لمرضه حتى انه لم يمت احد منهم في ايامه باذن الله تعالى

وأضف الى ذلك ان الشمّاس يوسف بخدمته بيت المؤنة مدّة ستّ وثلاثين سنة لم يثلم الامانة ابداً بل كان حفيظاً بما استودع اليه مؤثراً الاقتصاد على الاسراف معتبراً دقائق الامور كجليلها وصغيرها ككبيرها وكان يقول مراراً شتّى : ما دمت وكيلاً يلزمني ان اقوم بفروض وكالتي والّا فالأولى ان استعفي . واتصف الشمّاس بعذوبة حديثه ولطيف معاشرته ولاسيّما بتسليته المصابين بالمرض . ومما نُقل عنه ان السيد اقليميس يوسف داود يوم حضر الى الشرفة سنة ١٨٨٩ استجاساً لقواه المستضعفة وتبديلاً للهواء ألفى في الشمّاس يوسف احسن مسلٍّ واكبر معزٍّ له في كربته فكان يستدعيه اليه وهو على فراش المرض ويصغو الى حديثه بكل لذة فينسى آلامه

وفي ٢٠ نيسان ١٩١٠ كتب الشمّاس يوسف وصيّته الاخيرة وجاد بما كان يملكه على الدير الذي خدمه خدمة نصوحاً . ومما جاء في تلك الوصيّة استغفاره من سكّان الدير أجمع والتماسه من غبطة السيد البطريرك ان يبلّغ الامر الى رئيس المدرسة والتلامذة ليصلّوا عليه طقس الثمامة الدياقونيّين يوم وقاده واليوم الثالث والسابع والشهر واسبوع الكهنة وعيد سميّه مار يوسف وان يقدّس عن نفسه كلّ سنة قدّاس موبد في الاسبوع الذي يقع فيه عيد مار يوسف . فأيّد السيد البطريرك وصيّته هذه وشهد فيها السادة اقليميس ميخائيل بخاش وغريغوريوس بطرس هبرا ويوليوس باسيل قندافت

. وواصل الشمّاس خدمته حتى استكمل ايامه . وعام ١٩١٣ ازداد ضعف بنيته واضطرّ ان يعتزل مهنته ويستريح من تعبه فاقام الخوري افرام حيقاري رئيس المدرسة الاخ باسيل ناعم مقامهُ وتفرّغ الشمّاس مذ ذلك للتأهب الى الرحيل من الدنيا الفانية الى الحياة الباقية . وفي ١٦ كانون الاوّل ١٩١٥ فلج فلزم الفراش مسلّماً امره الى الله ربّه ولم يتعد به المرض من مواصلة اعماله الروحيّة وتقرّبه من الاسرار الالهيّة . واشتدّت عليه وطأة الفالج ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٥ فطلب سرّ المسحة واعترف وتناول . واقام الاب الرئيس الشاب منصور سلهب ليخدمه ويقوم باوازمه وحاجاته . فكان يقرأ عليه فصولاً من الكتاب المقدّس او من احد الكتب الروحيّة مثل كتاب الاستعداد للموت وما شاكلهُ . وكان الشمّاس يصغي اليه بكلّ عذوبة وشوق ويستزيده القراءة راغباً اليه ان لا يحرمهُ لذّة سماع كلام الله معتبراً ان تلك القراءة تحيي قلبه وتنعش ايمانه ورجاءه وتثير فيه لواعج الوجد والارتياح الى مشاهدة فاديه وتصبّره على مكاره الدنيا وخطوبها حبّاً له

ولزم الشمّاس فراش المرض عشرة اشهر محتملاً مضض الالم موجهاً الحاظه الى الاله الذي تعذّب لاجل فدائنا متوسّلاً اليه ان يجعل اوجاعهُ كفّارةً عن خطاياهُ . وفي تشرين الاوّل ١٩١٦ انحطّت قوّته فأيقن بدنوّ الاجل فزاد في الصلوات والابتهالات استرضاء لله جلّ شأنهُ وكان يستشفع مريم امّه والقدّيس يوسف سيّده ليساعداهُ وقت نزعه ويدفعا عنه هجمات خصمه . ولبث كذلك حتى ١٣ تشرين الاوّل ١٩١٦ فرقد رقاد الابرار مزوّدًا بالاسرار وله من العمر اربع وسبعون سنة . وصباح الغد ترأس الصلاة عن نفسه السيّد اوسطاثيوس موسى سركيس الذي وافى راجلاً من جونيه الى المدرسة على ما كان عليه من التقدّم في السنّ وانحراف الصحّة اظهاراً لجزيل حبّه للفقيد واشترك معه في الصلاة رؤساء الأديار المجاورة والكهنة والرهبان والوجهاء والعوام وأبّنه القسّ جبرائيل نجّاش احد معلّمي المدرسة

فهكذا قضى الشمّاس يوسف حياته مؤدّيا الأمانة لدير السيّدة العذراء ومُخلصاً الطاعة للرؤساء ومثلاً للتلامذة ولجميع من عرفه أجمل تذكار فنال من الثناء أعذبه ومن الشكر أطيبه . اي ولعمري ذهب الاكّار الصالح ولم تذهب آثاره . وغابت صورته ولم تغب محاسنه امتع الله روحه في جنّاته وأجزل له الأجر على حسناته